مساهمة المجامع اللغوية العربية في ترقية اللغة العربية وتجديد محتواها وتوسيع آفاقها[1]

للأستاذ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح
رئيس المجمع الجزائري للغة العربية

إن المجامع اللغوية العربية وخاصة التي أسست في النصف الأول من القرن العشرين قد ظهرت في الوقت المناسب لشدة الحاجة إلى تنمية اللغة العربية وجعلها كما قال مؤسسو هذه المجامع «وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها» و«الحياة في العصر الحاضر».وقد قامت بواجبها في أحسن ما كان يُرجى منها ومن العلماء والخبراء الذين تكوَّنت منهم.وهي أعمال عظيمة جديرة بأن يذكرها التاريخ وتثني عليها الأجيال ممن جاؤوا بعدهم من المجمعيين.وكانت أهدافها مضبوطة ودقيقة فحققوا الشئ الكثير مما كان يتطلبه ذلك العصر.إلا أن تقدم العلوم والفنون كان سريعا وما يزال سريعا جدا.وكانت أعمال المجامع

(1) قدم هذا البحث في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مارس 2006 .

المنحصرة في مجمعين أو ثلاثة لا تستطيع، على جودتها، أن تواكب الركب الحضاري بهذه السرعة. ثم نحن في عصر آخر الآن وقد ظهرت من الوسائل التكنولوجية الشيء العجيب ولاسيما فيما تتطلبه الأعمال الخاصة بالعلاج العلمي للغات.وتحتاج الشعوب العربية أن تتكيف ككل العالم الثالث في أقرب الآجال وخاصة مؤسساتها العلمية ومجامعها اللغوية لتواجه تحديات هذا العصر وما سيأتي بعده.وسوف نتطرق إلى كل هذا ونقترح بعض ما نراه مناسبا إن شاء الله.

ولا بأس في بداية هذا البحث أن نذكّر بماذا امتازت به المجامع اللغوية العربية في أهدافها وأعمالها.

1- أهداف المجامع اللغوية العربية وأعمالها

كل يعرف أن أول أكاديمية عربية أُنشئت في العصر الحديث هي المجمع العربي العلمي بدمشق وأن أول رئيس لها كان الأديب العالم المشهور محمد كرد علي في عام 1919.ثم أُنشئ في مصر مجمع اللغة العربية الملكي في عهد الملك فؤاد الأول (بمرسوم صدر في 1932).وتلاه المجمع العلمي العراقي في عام 1947. وأُسس بعده مجمع اللغة العربية الأردني في عام 1976.كما أُنشئت بعد ذلك مجامع اللغة العربية في السودان وليبيا والجزائر وتونس والمغرب.

وأُنشئ اتحاد المجامع العربية في عام 1971 واختيرت القاهرة كمقرّ له.

ومن يمعن النظر في الأهداف التي كان كل مجمع يرمي إلى تحقيقها والمهام الكبرى التي كان ينوي القيام بها فإنه يلاحظ أولا أنها أهداف واحدة تجتمع عليها كل المجامع التي ذكرناها وأنها تتلاءم كلها مع الوضع الاجتماعي السياسي اللغوي للشعوب العربية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ومنه مستواها العلمي والتكنولوجي وخاصة مستوى النخبة منها في ذلك الزمان.

فأما المجمع العلمي بدمشق فكانت أهدافه حسب ما جاء في بيان أذاعه رئيسه السيد كرد علي في عام إنشاء المجمع:

1 ـ النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات عن اللغات الغربية وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة الموضوعات على نمط جديد.

2 ـ جمع الآثار القديمة من تماثيل وأدوات ونقود وكتابات وما شاكل ذلك وخاصة ما كان منها وتأسيس متحف يجمعها.

3 ـ جمع المخطوطات القديمة والمطبوعات العربية والغربية وتأسيس مكتبة عامة لها.

4 ـ إصدار مجلة باسم المجمع تنشر أعماله وأفكاره وتربط بينه وبين المجامع والجامعات والمؤسسات العلمية.

وأسس المجمع أيضا متحفاً لم يلبث أن استقل عنه في 1928 كما أسس مكتبة كبيرة جدا وجُمعت المخطوطات في مكان المدرسة

الظاهرية القديمة والمجموع من المطبوع والمخطوط كان يتجاوز مئة ألف كتاب.

أما المهام الرئيسية التي ذكرت في البند الأول فقد بادر المجمع إلى سدّ الثغرة اللغوية الأولى بتعريب المصطلحات التركية التي كانت تستعملها الدواوين والجيش في العهد العثماني.ووضع الكثير من ذلك.كما اهتم أيضا باللغة المدرسية ولغة الحضارة العصرية ومنها لغة العلوم والصناعات الحديثة. وكل منا يعرف ما بذله هذا المجمع العظيم من جهد في وضع العدد الكبير من المصطلحات وقد دخل بعضها في الاستعمال وخاصة في التعليم الجامعي. وكل يعرف العمل العظيم الذي قام به الأمير الشهابي وأعضاء هذا المجمع بوضعهم لأغلبية المصطلحات الزراعية والحِرجية فيما لم يكن له مقابل عربي في الاستعمال الحالي.واعتنى المجمع عناية كبيرة أيضا بنشر التراث اللغوي والأدبي والتاريخي.ونخص بالذكر من بين علمائه في التحقيق العلمي الدقيق للمخطوطات العلامة أحمد راتب النفاخ.وكان لي الشرف أن طلبت منه أن يشرف على تكوين عدد من المحققين ليشاركونا بالتحقيق الصحيح في حيازة كتب التراث على الشكل العلمي المطلوب إلا أن وفاته رحمه الله منعتنا من أن نستفيد من علمه.أما مجلة المجمع فما زالت تُتْحفنا بالبحوث والدراسات الرائعة.

وقد امتاز مجمع دمشق بالقيام بما يودّ الكثير منا اليوم إحياءه وتعميمه وهو تنظيم المحاضرات في اللغة خاصة لعامة الناس أسبوعيًا أو

كل أسبوعين. ولم تكن مجرد محاضرات يحضرها الملأ الخاص من الناس بل الجمهور من المثقفين.وسنعود إلى هذا النوع المفيد من الاتصال بين اللغوي ومستعمل اللغة.

ومن هذا الاتصال مع المستعملين للغة كالكتّاب والمسيرّين والصحفيين والمعلمين وغيرهم ممن يهتم كثيرًا باللغة كوسيلة تبليغ يجدر بنا أن نذكر ما كان ينشره في الصحف من ملاحظات يلفت نظر هؤلاء إلى ما سماه بـ« عثرات الأقلام» مع الاستشهاد على ذلك وبيان العبارة السليمة.وصار المجمع بذلك بعد مرور برهة من الزمان «دار الفتوى اللغوية».

أما مجمع اللغة العربية بالقاهرة فقد كان يرمي إلى تحقيق ما يلي:

أ ـ أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب والفنون في تقدمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر وذلك بأن يحدّد في معاجم أو تفاسير خاصة وبغير ذلك من الطرق ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب.

ب ـ أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية.وأن ينشر أبحاثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها.

ج ـ أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد.

د ـ أن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة العربية،مما يُعهد إليه فيه بقرار من وزير المعارف العمومية».

وفيما يخص مجمع بغداد فقد كانت أهدافه الأساسية كالتالي:

1 ـ العناية بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشؤون الحياة الحاضرة.

2 ـ البحث والتأليف في آداب اللغة العربية وفي تاريخ العرب والعراقيين ولغاتهم وعلومهم وحضارتهم.

3 ـ حفظ المخطوطات والوثائق النادرة وإحياؤها بالطبع والنشر على أحدث الطرق العلمية.

4 ـ البحث في العلوم والفنون الحديثة وتشجيع الترجمة والتأليف فيها وبث الروح العلمي في البلاد.

إن لما أنتجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة تأثيرًا وأبعادًا تتجاوز حدود مصر. وقد كتب في هذا الموضوع الكثير ونوقشت رسائل قيمة تتطرق إلى مهامه وإنتاجه. وحرّر المرحوم الدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع السابق تقريرًا تحليليا وافيا في ذلك بمناسبة عيده الخمسيني عنوانه: «مجمع اللغة العربية في خمسين عاما :1934 – 1984». ولذلك نكتفي هنا بذكر أهم ما قام به من أعمال .وكانت كلها أعمالا جليلة.

فمما كان له تأثير واسع من ذلك: مجموعة القرارات التي أقرها المجمع في هذه المدة فيما يخص متن اللغة وأصولها واللهجات.وهو عمل جدّ إيجابي وذلك مثل القرارات الخاصة بأصول اللغة كإقرار قياسية الصيغ الدالة على المعاني الكثيرة التداول:صيغ اسم الآلة

فزيادة على الصيغ العادية (مِفْعَل ومِفْعَال ومِفْعَلة) أضيفت صيغ هامة لكثرة تداولها كفاعول وفاعلة وفَعَّال.

واشتهر المجمع بصفة خاصة بأعماله في ميدان المصطلحات وصناعة المعاجم. فقد التزم المجمع بإخراج ثلاث أنواع من المعاجم،كما هو معروف، كبير ووسيط ووجيز فأنجز الوجيز والوسيط وانتهى العمل في 1960 وكان عملا جيدا ووصل المجمع إلى حرف الذال في 2006 في المعجم الكبير.وكان المعجم الوسيط أول معجم ضمّ إليه ألفاظ هذا العصر المولدة والمعرّبة من تلك التي يتداولها الناس في استعمالهم الكتابي والشفاهي بالفصحى.هذا وأخرج المجمع معاجم علمية خاصة كمعجم الجيولوجيا وغيره.

وساهم المجمع في إحياء التراث مساهمة كبيرة وخاصة في التراث اللغوي وحقّق ونشر عددًا من أمهات الكتب اللغوية، كديوان الأدب للفارابي وكتاب الجيم للشيباني.وهو عمل علمي جدّ مفيد تفتخر به الأمة العربية جمعاء.

واهتم المجمع منذ نشأته أيضا بمشاكل تعليم اللغة العربية وخاصة من جانب التيسير لتعليمها كتيسير النحو في تعليم النشء الصغير.كما اهتم أيضا بتيسير الكتابة العربية.وكل هذا معروف عند أكثر المثقفين العرب.

وأما مجمع بغداد فقد سار على النهج الذي سار عليه مجمعا دمشق والقاهرة. وربما كان أقرب إلى مجمع دمشق إذ انبثق كلاهما من لجنة

أنشأتها وزارة المعارف في كل من سورية والعراق سمّيت بلجنة التأليف والترجمة والنشر فحولت إلى مجمع وسميت بالمجمع العلمي في كلا البلدين. ومجمع بغداد كان أحق بذلك لأنه لم يُنشأ فقط لترقية اللغة العربية فقد اهتم اهتماما كبيرًا بتاريخ العرب وتاريخ العراقيين ولغاتهم كما جاء ذلك في قانون إنشائه[2].

وبذل المجمع العراقي منذ نشأته جهودا عظيمة على غرار المجمعيين اللذين سبقاه في الوجود.فشاركهما في وضع المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة وإحياء التراث مثلهما. وقد نشر في مجلته منذ 1950 عددًا كبيرًا من هذه المصطلحات.وصدرت في هذه المجلة منذ ذلك الوقت دراسات لغوية وتاريخية من مستوى عالٍ.

أما المجمع الأردني والمجامع التي ظهرت بعده فتكاد تكون أهدافها على نمط واحد. ونخصص لهذا المجمع مقالة عن انجازاته إن شا الله.

2 ـ مميزات كل مجمع:

كانت الأهداف الرئيسية للمجامع العربية كما قلنا واحدة. فكلها اتفقت على النقاط التالية: المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون الحديثة وحاجات الحياة في هذا العصر وإحياء التراث العربي والقيام بكل ما من شأنه أن يساعد على ترقية اللغة العربية.

(2) وأنشىء بجانبه المجمع الكردي والمجمع السرياني ثم اندمجت المجامع الثلاثة في مجمع واحد في 1978.

ومع ذلك فقد كان لكل واحد منها ما يجعله يتميز بصفة أو أكثر من صفة عن المجامع الأخرى.

فأما مجمعا دمشق وبغداد فاهتم كل واحد منهما في الأول بالآثار المحلية وأُلحق بهما متحف فشغلا بترتيبه إلى أن استقل كل متحف عنهما وسبق أن أشرنا إلى تسميتهما بالمجمع العلمي. واهتم مجمع دمشق كثيرًا بالتعليم وكان لا يُقرر كتابٌ للتعليم إلا بعد أن يكون قد نظر فيه خبراء المجمع ووافقوا على استعمال المدارس له. واعتنوا كثيرًا بصحة اللغة في التدريس.

والذي جعله يمتاز امتيازًا تاما عن غيره هو ما سبق أن قلناه وهو الاتصال الدائم مع المثقفين بإلقاء المحاضرات على الجمهور من المثقفين بإثارة ذلك دوريًا في أوقات متقاربة. فكان المجمع بذلك قريبا من المعنيين بالأمر غير منعزل عنهم وهم المستعملون للغة العربية المعنيون بالأمر.

وتميز المجمعان بالترجمة للكتب العلمية والتشجيع لكل عمل من أعمال الترجمة العلمية.فقد نشر مجمع بغداد الكثير مما نقله العلماء العراقيون في شتى العلوم. وتابعهما في ذلك المجمع الأردني بعد إنشائه مباشرة.

وتميّز مجمع القاهرة عن كل المجامع العربية - ومنذ أول يوم من نشأته - بتعميمه لصفة العضوية العاملة لغير المصريين وبتنظيمه في آخر الربيع من كل سنة لمؤتمر عام يحضره كل الأعضاء من الداخل ومن

الخارج للنظر في عمل اللجان السنوي وما توصل إليه المجمع من إنجاز مشاريعه كالمعجم الكبير وغيره. وكان يريد المسؤولون أن يدوم أربعة أسابيع فصارت أسبوعين في الأخير. وهذا جيد لأن مثل هذه المبادرة تخلق ارتباطًا علميا وودّيا أوثق بكثير من اللقاءات التي لا تتجاوز أيامًا معدودة.

3 ـ ضرورة مسايرة تقدم الوسائل العلمية والمنهجية في القرن الواحد والعشرين

إنّ الذي ذكرناه من الأعمال والإنجازات التي قامت به المجامع هو للتنويه والاعتزاز به لا للتعريف فهو غنيّ عن ذلك فما قام به علماؤنا في المجامع الكبرى هو جدير بالافتخار والذي نقصده في هذا الجزء الثاني من مقالتنا هو الإدلاء برأينا في كيفية تطوير عمل المجامع.

ففيما يخص مسايرة العمل المجمعي للتطوّر السريع الذي يحصل في عصرنا في كيفية إنجاز المشاريع الكبرى فينبغي ،في نظري، ألا نبقى مذهولين مبهورين أمام هذه التحولات الجذرية المتتالية التي تمسّ كل عمل وكل إنجاز في زماننا هذا. فنحن في عصر الحواسيب والانترنيت والبريد الإلكتروني والليزر وفوق كل هذا: في عصر **العمل المشترك** الذي قد تجتمع في القيام به الآلاف من المشاركين. وهذا التحول هو سريع قد لا يراه ولا يحس به من تعوّد على العمل التقليدي. ويمس في الأساس **طريقة العمل**

المجمعي عامة والتهيئة اللغوية خاصة. ولنا، كسائر من ينتمي إلى أسرة الباحثين، رأي في ذلك.

فهذه الطريقة ،بما أنها تخص اللغة، فإن لها مبادئ تنبني عليها وأهمها هي في نظرنا:

1 ـ **أن اللغة وضع واستعمال** أي نظام من الرموز واستعمال فعلي لهذا النظام والجانب الاستعمالي يجب ألاّ يستغني المجمعي عن النظر فيه سواء كان القديم منه أم الحديث. فالمصطلح أو أي لفظ يضعه مجمع أو مؤسسة أو عالم هو حقيقٌ بأن يهتم به المجمع بالنسبة إلى دخوله في الاستعمال وأن يبحث عن مدى إقبال الناس عليه.

2 ـ النظر في الاستعمال والاهتمام بأسراره يقتضي **القيام بمسحه مَسْحًا** ولا يكتفي في ذلك ببعض النصوص أو بالرجوع إلى المعاجم. ويلزم من ذلك القدرة على تصفّحه تصفحا شاملا وهذا لا يتحقق إلا بإنشاء مدوّنة لغوية كبيرة جدا للقديم والحديث تجمع **الاستعمال الحقيقي للغة العربية** الفصحى المنطوقة والمكتوبة في كل البلدان العربية. فينبغي على هذا، أن يُسجل باستمرار وعلى ممر الأيام وقد صار الآن التدوين للملايين من النصوص ممكنا.

3 ـ الاعتماد في تدوين المستعمل وفي الرجوع إليه في أي وقت وبأخصر الطرق، بفضل **التعامل مع الحاسوب والانترنيت العربي** عن قريب. فالمدونة المحوسبة في عصرنا ليست مجموعة نصوص مكتوبة أو مجموعة جزازات بل هي بنك آلي من النصوص **يمكن أن يتحاور** معه

بإلقاء الأسئلة عليه وهو الذي يقوم بالمسح والتصفح للآلاف من النصوص ليستطيع الإجابة عن سؤال مثل: هل ورد هذا اللفظ في كتاب فلان أو في عصر كذا وما هي سياقاته وغير ذلك مما يهتم به المجمعي. وبسبب تداخل الميدانين: علوم اللسان وعلوم الحاسوب ينبغي أن يتم التعاون التام بين المجمعي والحاسوبي .

ولنا في الجهود العظيمة التي بذلها اللغويون العرب القدامى الذين قاموا بالتحريات الميدانية وتدوين الاستعمال قدوة. وقد كان لهم مبادئ ومناهج علمية لم يُسبقوا إليها وهي جديرة بأن يرجع إليها ولاسيما المناهج التي اعتمد عليها الواضعون لعلم العربية.

4 ـ اللغة ظاهرة اجتماعية فيجب لذلك الاهتمام بوجهة نظر الجمهور من المستعملين للغة العربية في إقرار المصطلح وذلك باستفتائهم[3]. ولا يمكن أن يحصل الإقرار نهائيا إلا في مستوى اتحاد المجامع وبالاعتماد على هذه الاستفتاءات. ويقوم كل مجمع بذلك في بلده[4].

5 ـ ضرورة التنسيق لأعمال المجامع وإشراف إتحاد المجامع على ذلك (ومنها ما يحصل من استفتاء لغوي في كل بلد). وضرورة إشرافه على إنجاز المشاريع اللغوية الكبرى ولا يكتفي بمشروع واحد كالمعجم التاريخي هو وحده!

ويمكن أن نمثل في عدم الاهتمام بجانب الاستعمال الحقيقي بما

(3) وهو مثل الاستفتاء السياسي فهو سؤال يوجّه في أمر إلى جماعة كبيرة ممن يعنيهم هذا الأمر.

(4) أو هيئة جامعية إن لم يوجد مجمع .

يوضع من المصطلحات العلمية والتقنية وما تحاوله بعض المؤسسات من توحيد ما اختلف فيه. فقد جرت العادة أن يوكل إلى لجنة علمية إعداد قائمة من المصطلحات في ميدان معيّن تعرض على مؤتمر أو ندوة فيقرّ ما تم الاتفاق عليه بعد المناقشة. والذي نراه هو أن هذه الطريقة لا تهتم بجانب الشمولية فلا تطبّق مبدأ المسح الشامل لكل ما يصدر في العالم باستمرار من المفاهيم العلمية وما وضع ويُوضع من المصطلحات باللغات الأجنبية في كل وقت ولا مبدأ الاستشارة الشاملة لكل الخبراء فيما يُقترح من الألفاظ ومن ثم عدم البتّ الجماعي في إقرارها من قبل الجمهور من المستعملين ممن ينتمي إلى ميدان علمي خاص. وتؤدي هذه الطريقة إلى التسرع في النظر والتقويم وفي البت وقد يكون المشارك في ذلك لم يطلع من ذي قبل على القائمة المعروضة أولم ينظر فيها بالدقة المطلوبة. ويحصل هذا بالنسبة إلى القائمة الواحدة في جلسة واحدة بل في ساعة أو ساعتين. وهذا لا يخص المجامع اللغوية بل كل المؤسسات العلمية الوطنية والقومية التي تعتني بالمصطلحات العربية وضعًا أو توحيدًا. فكل هذا كان مقبولا إلى حدّ ما في زمان لم يكن فيه الاتصال بين البشر بالشكل الذي نعرفه الآن: فوري وعلى مستوى العالم!

والواقع أن للعمل في المصطلحات الآن مجالات مختلفة من النشاط ينبغي الاعتداد بها وهي كالتالي: **مجال تسجيل المستعمل منها** في كل البلدان العربية لا في البلد الواحد والتعرف على ما هو موجود وغير

موجود. **ومجال وضع** ما لا يوجد بعد منها في العربية وما كان مختلفا في استعماله بين بلد وآخر أو بين مؤسسة وأخرى. وهذا يقتضي القيام بهذه الأعمال:

1 ـ الحصر المنتظم لكل ما يجدّ في العالم من مصطلحات (وهذا يحصل يوميا). بلغتين أجنبيتين على الأقل. ويُرجع في ذلك إلى المؤسسات المهيئة لذلك مثل: المؤسسة التي توجد في لوكسمبورج وهو مكتب المصطلحات لمؤسسات الاتحاد الأوروبي والمؤسسات الكندية وغيرها.

2 ـ **البحث عن المقابل العربي:** بتصفح المدونة العربية (ما يوجد من ذلك الآن في الوطن العربي وعن قريب الذخيرة العربية المحوسبة). فقد يكون في الاستعمال الحديث في جهة معينة لفظ عربي يستعمل بنفس المعنى الآن أو لفظ استعمل في القديم بمعنى عام أو خاص قريب من المفهوم المعني بالأمر.

3 ـ **اختيار لفظ واحد** إن اختلفت المصطلحات بين قطر وآخر وفي داخل القطر الواحد. وذلك على مقاييس معينة (وقد وضع مثل هذا منذ زمن). فإن لم يوجد يلجأ إلى وضع لفظ عربي على المقاييس المتعارف عليها.

وهذا العمل ينبغي أن يوزّع على كل المجامع لأنه عمل كبير وضخم أولا ولتفادي التكرار ثانيا[5].وأهم شيء في ذلك هو ،كما قلناه، الاعتماد

(5) والاكتفاء بمجمع واحد في ذلك هو سبب البطء المهول الذي عُرف به هذا العمل.

في البحث على مدونة محوسبة وفي الإقرار على مقياس اللفظ العربي الفصيح الأشيع من المصطلحات إذا اختلفت أو إن لم توجد فبالرجوع إلى المستعملين أنفسهم من أهل الاختصاص باستفتائهم فيما يوضع من الألفاظ في جميع البلدان العربية لأنهم هم المعنيون بالأمر بالدرجة الأولى. إذ لا يُقبِل أحد على ما يضعه مجمع أو اقترحته مؤسسة إلا إذا استساغه وإقبال الأكثرية هو خير مقياس فالاتصال بهم بجميع وسائل الاتصال الحالية كالتلفزيون والصحف والانترنيت ضروري جدا لضمان نجاح المصطلح وإقبال الناس عليه. ويدخل في الاستعمال المصطلح الذي استشير فيه الآلاف من الناس لأنهم يحسون أنهم ساهموا في وضعه وإقراره.

ويساهم في **تنسيق العمل في المصطلحات وفي تخطيطه ومتابعته وتقويمه** فوج من المجمعيين والجامعيين الباحثين من جميع البلدان العربية وذلك **على مستوى اتحاد المجامع**[6]. وينبغي أن يشمل نشاط الاتحاد كل الأعمال التي تخص اللغة العربية سواء كانت مرتبطة بمجامع اللغة العربية أم بغيرها من المؤسسات.

ويقتضي ذلك أن نُعيد إليه الاعتبار في هذا الميدان التنسيقي ودوره ،في نظرنا، هو أخطر من كل الأعمال التي تقوم بها المجامع ومن المؤسف أنه لم يقم بما أوكل إليه من ذلك إلى يومنا هذا. وقد اقترح

(6) ويمكن أن تساهم في ذلك كل المؤسسات العلمية المحلية والدولية مثل المنظمة للتربية والثقافة والعلوم بفروعها المتخصصة ومركز تنسيق التعريب في ميدان المصطلح.

بعضهم أن تُحلّ كل المجامع وينشأ مجمع واحد .فهذا في نظرنا أسوأ الحلول لأن المؤسسة الواحدة لا تستطيع أن تقوم بمثل هذا العمل الكبير الواسع ولأن العمل المشترك الجماعي هو الذي ينبغي أن يعتمد في المستقبل. ولهذا نؤكد أن دور اتحاد المجامع هو دور حاسم في تفعيل العلاقات التي تقوم الآن أولا بين المجامع والقطاعات الأخرى التابعة للدولة وخاصة تلك التي يكون المجمع تابعا لها وثانيا بين المجامع وجامعة الدول العربية.فنقترح أن يكلف الاتحاد بتقديم مشروع معاهدة أو اتفاقية بينه وبين جامعة الدول العربية ينص فيها على ما يلي :

- تمنح صفة الإلزامية لما يُقرّه الاتحاد من المصطلحات بالطريقة المشار إليها هنا (موافقة جمهور المستعملين في كل البلدان العربية) بالنسبة للقطاعات الحكومية في كل دولة ويعرض المقرَّر منها على شكل معاجم في كل ميدان وتكون هذه المعاجم قابلة للتجديد والإثراء بنفس الطريقة وبكيفية منتظمة دورية.

- ويكون تطبيق ما سبق بإدخال هذه المصطلحات (المقرَّرة في أعلى مستوى وهو اتحاد المجامع بعد أن رضي عنها المعنيون بها من المستعملين) في الكتب المدرسية والمراجع الجامعية والموسوعات وجميع الوثائق العلمية والإدارية والاقتصادية وغيرها التي تنشرها الدولة وقطاعاتها ومن هذه المعاجم معجم الحياة العامة والمعجم المتعلق بالإعلام والاتصال ومعجم الفنون السمعية البصرية.

– تكفل قطاع الإعلام بترويج هذه المصطلحات بناء على قبولها من قبل مئات الآلاف من الناطقين بالضاد.

أما فيما يخص المدوّنة المحوسبة أي الذخيرة العربية فتكون بالضرورة بالنسبة إلى البحث في المصطلحات المرجع الموثوق الذي يغطي الاستعمال الحقيقي للغة العربية قديما وحديثا (ومستقبلا) والواقع أنها ليست مقصورة على ميدان المصطلحات بل ينبغي **أن تكون المرجع العام الموثوق لكل عمل يخص اللغة مهما كان.** فهي لذلك مرجع للعمل المعجمي وغيره وبهذه الطريقة الموضوعية هي وحدها يمكن أن نتعرف على مدى شيوع العبارات في الوطن العربي بأجمعه حديثا وقديما ونتعرف على الأخطاء بكيفية غير ذاتية ومدى انتشارها .

ومما نستغربه ونعجب منه هو عدم اهتمام المؤلفين العرب في زماننا هذا بشيء يسمى **مدوّنة لغوية** تكون هي المستقى الموثوق الذي يؤلفون منه وعلى أساسه معاجمهم. وربما يكون هذا التهاون – المطلق– هو التهاون **الوحيد** الذي يتصف به عمل الباحث العربي في زماننا في نقله الكامل لمناهج البحث الغربية.فقد قلّد بعضهم الغربيين في كل شيء وتبنوا أفكارهم ومناهجهم إلا تدوين المدونات لتأليف معجم أو دراسة اللغة أو وضع مصطلح مع أن استعمال اللغة العربية الفصحى لم ينقطع في وقت من الأوقات ولا يرجع إليه مع ذلك ولا يمكن الرجوع إليه إلا بهذه الطريقة العلمية .

ثم لا نفهم أيضا أن يحصل سكوت عن المدونة التي يجب أن تجمع

وتحوسب مع كثرة ما يجري من الكلام عن المعجم التاريخي فهل يمكن أن نتصور كيف يتم اكتشاف ما أصاب المئات من الألفاظ من التحول في مدلولاتها وما اختفى من ذلك وما ولد منها في عصر معين وفي كتاب معين إلا بالرجوع إلى مدونة كبيرة جدا؟. تمكن الباحث من الحصول على كل السياقات التي ترد فيها لفظة من الألفاظ في ميدان معين . ويؤلف على هذا الأساس ما يسمى الآن بملف الكلمة تجمع فيه هذه السياقات الخاصة بها في شتى الميادين والعصور.

3 ـ ضرورة توسيع آفاق نشاط المجامع اللغوية

أما فيما يخص مراقبة السلامة اللغوية وإصلاح الأخطاء فلا بد ،في ذلك، من الاتصال المباشر ،أيضا، مع جمهور الناس وذلك بتنظيم حصص مبرمجة في التلفزة ولا يكون التدخل على الشكل التقليدي: بـ «قُل ولا تقُلْ». فهذا قد أثبت الخبراء أنه من خير الوسائل لترسيخ الخطأ في ذهن السامع عند الأكثرين. بل يتبع في ذلك طريقة التعليم العادية: بإيحاء العبارة السليمة هي وحدها بتكرارها في أكثر من نص عدة مرات وفي خطابات عفوية وحالات طبيعية من الحياة اليومية (في التعليم ووسائل الإعلام).

وقد يكون المذيع أو المعلم هو الذي أذاع الخطأ جهلا منه. ولذلك ينبغي أن تجرى مع المذيعين ومع المعلمين بالتعاون مع السلطات المعنية أحاديث خاصة. وما يؤلف من الكتب لتصحيح التعبير فالكثير

منها يحتوي على شئ كبير من التعسف في التخطئة. فيجب أن تؤلف كتب تتكرر فيها في كل النصوص العبارات التي يُخطئ فيها الناس هي نفسها لكن بشكلها السليم.

أما ما يمكن أن يُعتبر عيبا مقابلا للتخطئة الصريحة فهو محاولة تبرير العبارة الجارية في استعمال عامية من العاميات. وهذا قد يكون فيه تعسُّف كبير جدا لأنه يخص عبارة من عامية واحدة دون العاميات الأخرى. فهو تبرير لاستعمال فئة من الناس إذ قد ينفردون بذلك هم وحدهم. ثم إن تفصيح عبارة تكون بعيدة جدا عن الفصحى مع انفراد بلد واحد بها بل وجهة واحدة من البلد باستعمالها هو خطير جدا. أما ما يشيع ويكثر مجيئه في أكثر البلدان العربية فإقراره يكون أقل ضررًا و قد يكون مقبولا إذا لم يوجد لفظ آخر فصيح يدل على ما يدل عليه ويكون حينئذ بمنزلة المعرّب الدخيل. أما إذا وجد بديل فصيح للعبارة العامية يكون نص عليه علماؤنا الذين شافهوا فصحاء العرب وأقرّوه فلا يحق لنا في نظرنا أن نجيز العبارة العامية في استعمالنا للغة الفصحى. فالشيوع لا يكون مقياسا إلا عند الاختيار بين لفظتين فصيحتين[7].

أما تيسير النحو في تعليم اللغة العربية فهذا يمكن أن تشرف عليه المجامع ولكنه لن تكون أية نتيجة ملموسة بعمل لجنة خاصة من

(7) ومقياس الفصيح ـ بالنسبة إلى جميع اللغات ـ هو الانتماء إلى اللغة المعنية أي ما ورثه أهلها وما كان على قياسه.

أعضاء المجمع تقترح إصلاحا معينا قد لا يلتفت أصحابه فيه إلى ما جدّ من جديد في علم تدريس اللغات واللسانيات التطبيقية الحديثة وهي أولى بأن يرجع إليها وإلى ما اعتمدته من مبادئ لغوية تعليمية لأنها حصيلة عمل جماعي على مستوى العالم. فعمل التيسير لا يمكن أن يفيد إلا بشكل بحوث نظرية واختبارية يُجريها عدد من الفرق (مع مراعاتهم لتلك المبادئ العلمية) في مختلف البلدان العربية يشرف عليها اتحاد المجامع بالتعاون مع القطاعات المعنية بالتعليم والتكوين. وما يجب على الباحثين العرب في هذا الميدان هو أن يراعوا خصائص اللغة العربية ويتحفظوا من النظريات اللغوية التي استخرجت من النظر في اللغات الأجنبية وحدها.

وعلى هذا يمكن أن يضاف إلى موّاد الاتفاقية المقترحة ميدانا هاما جدا وهو ميدان يخص سلامة اللغة ومشاكل تعليمها وقد أعاره كل مجمع الاهتمام الذي يستحقه إلا أنه لم يخرج ما اقترح في ذلك ،مع الأسف، من مبنى المجامع إلا في الأيام الأولى وخاصة ما قام به مجمع دمشق. والذي يمكن أن تساهم فيه المجامع فيما يخص الأعمال الرامية إلى مضاعفة المردود للتعليم اللغوي فهو:

أن يراقب كل مجمع الأعمال التي تتعلق بتعليم اللغة العربية فيما يخص:البرامج (المناهج) لتعليم العربية وتقويم محتواها وكتب النحو والصرف والبلاغة والنصوص مع تقويم محتواها والبحوث الجامعية المتعلقة بتعليم العربية وما يوضع من طرائق جديدة واختبارها في

الميدان والرصد الدقيق لاستعمال التلاميذ الكتابي والشفاهي وتقويم ذلك بدراسة مستفيضة ومقارنة للأخطاء اللغوية.

ويمكن أن يتم ذلك أولا باللجوء إلى فريق من الخبراء في تعليم العربية وعلم تعليم اللغات الحديث.تشرف عليه لجنة تنشأ لهذا الغرض في كل مجمع. ويتعاون الفريق والمجمع مع المفتشين في مستوى وزارة التربية وغيرهم ممن يهمه الأمر.

إن المجامع اللغوية قد قامت بالمهام العظيمة المنوطة بها أحسن قيام وهي أعمال جديرة أن نفتخر بها إلا أن التطوير لطريقة العمل التي تعوّدت جميع المجامع اللغوية العربية أن تسير عليها هو أمر يحتمه الزمان والتحولات العظيمة التي أصابت جميع طرق العمل ووسائله بصفة خاصة. وهذا لا يجادل فيه أحد. إلا أنه لا يكفي ،في نظري، أن يلجأ إلى الأجهزة الالكترونية كالحواسيب وغيرها ولا نبالي أولا بتطوير طريقة العمل اللغوي نفسها وثانيا بكل ما يسمح لنا استغلالنا للحاسوب من التصفح الشامل للاستعمال الحقيقي للغة وما يلزمه ذلك علينا من تقنيات دقيقة مثل اللجوء إلى ما يسمى «بـ ملف الكلمة» (الذي يجمع كل السياقات التي وردت فيها الكلمة في نص أو المئات من النصوص). فلا ننفرد في وضع المصطلحات كأن نكتفي بآراء العدد القليل من الاختصاصيين وفي تقويمها بالنظر السريع فيها. فنحن في عصر انتشر فيه الاتصال المباشر بين الملايين من البشر بجميع أشكاله: التلفزة والانترنيت وغيرهما كما أنّنا في عصر حوسبة كل المعلومات بل

وعلاجها ورصدها وتجميعها وترتيبها كما نشاء. وكل هذا يفرض علينا أن نطوّر طريقة العمل اللغوي. وأخطر عمل نقوم به وأكثره استعجالا وأولوية هو **أن نساهم في حوسبة المدوّنة اللغوية الشاملة** أي الذخيرة العربية (للقديم والحديث) التي لا بد أن يعتمد عليها العمل المجمعي والبحوث اللغوية عامة وإلا بقينا في العمل الحرفي الفردي المقطوع عن حياة اللغة الزاخرة. فتدوين الاستعمال بالوسائل الحديثة ليس مجرّد «جمع مادة» لتأليف كتاب كما يقول بعضهم بل هو تدوين مستمرّ يُنطلق منه ويُرجع إليه في كل عمل يخص اللغة. ثم المدونة اللغوية ليست،كما قلنا، مجموعة نصوص مكتوبة بل هي بنك آلي من المعلومات يمكن أن يتحاور معه ويلقي عليه الأسئلة. فالحاسوب الذي بني عليه هذا العمل هو الذي يقوم بتصفح كل ما يوجد في البنك المحوسب. وعلى هذا فلا يمكن أن نواصل عملنا على الطريقة التي ورثناها وتبقى المشاكل التي تتولد عن مثل هذا العمل كعدم إقبال المعنيين بالأمر على المصطلحات الجديدة وبصفة خاصة عجز المجامع عن توحيدها والفوضى المترتبة على ذلك هذا . لذلك ينبغي أن نعيد الاعتبار لاتحاد المجامع لأنه المؤسسة العربية الأولى التي تمثل كل المجامع اللغوية العربية فكيف نهمّشها وهي التي أوكل إليها التنسيق الشامل لكل أعمال المجامع؟. هذا ونأمل أن يتحقق التطوير المنشود إن شاء الله. وبالله التوفيق.